ينتقل من يد الى يد حتى اعلنت الهدنة بين المتقاتلين في سنة ٥٤٥ م. الا ان القتال قد نشب مرة اخرى حين حاول كسرى اخضاع اللازيين النصاري في القوقاز وكانت محاولة عقيمة بسبب تدخل الروم. وعقد الصلح النهائي بين الدولتين سنة ٥٧٢ م لمدة خمسين سنة وقد اتفق على ان يترك للطرفين مالهما من الاراضي القديمة وعلى حرية التجارة بين ايران وبيزنطة. ومنح النصارى حرية العقيدة على الا يسعى احد من رجال الدين في الدولتين للتبشير بدينه (١١١).

واذا انتهت الحرب مع بيزنطة فقد نجح كسرى بين سنتين ٥٦٣، ٥٦٧ في ابادة دولة الهياطلة التي ضعضعتها حملة قبيلة من القبائل التركية. وكان نهر جيحون هو الحد بين ايران واراضي الخاقان التركي الذي اصبح عدواً شديداً المرأس لايقاس به ملك الهياطلة كما ظهرت في القوقاز قبائل الترك ايضاً ولكي يدفع كسرى عن هذه الحدود هجماتهم جدد تحصينات قلعة دربند وقواها (١١٢).

وقد مد كسرى نفوذه جنوباً الى اليمن التي كانت خاضعة حينذاك للاحباش، فقد تحالف احد قواد كسرى مع العرب وافلح العرب بطرد الاحباش منها سنة ٧٥٠م ثم تولى حكمها من قبل كسرى (١١٣).

وتشير المصادر العربية ان حملة الفرس على اليمن كانت بسبب توسط سيف بن ذي يزن الحميري عند النعمان بن المنذر والي الحيرة الموالي للفرس طالباً المعونة من كسرى، وتروي هذه المصادر ان الحملة التي ذهبت لفتح اليمن عن طريق البحر قد رست في ارض عدن ونجح العرب في اليمن بطرد الاحباش، ولكن الاحباش عادوا فتح اليمن، فارسل كسرى اليهم جيشاً للمرة الثانية ونجح في الاستيلاء على اليمن وطرد الاحباش وجعلها ولاية فارسية تحكم من قبل امراء الفرس مباشرة لتحقيق اطماعه في السيطرة والتوسع (١١٤).

---

(١١١) كرستنسن — ايران ص ٣٥٧ — ٣٥٨، باقر — ايران ص ١٤٥ — ١٤٦.

(١١٢) وذكر المسعودي في مروجه (ان ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك هادنت ملك ايران ١ / ٢٣١. وانظر كرستنسن — ايران ص ٣٥٨ — باقر ايران ص ١٤٦.

(١١٣) ومنذ ذلك التاريخ اي سنة ٥٧٠ بقيت اليمن تحت سيطرة الساسانيين الى ايام حكم كسرى برويز حيث به انتهت سلسلة حكام الفرس في اليمن. الطبري التاريخ ١ / ٩٨٧، ١ / ١٠٣٩، كرستنسن — ايران ص ٣٥٨. العلي — جواد — المفصل ٣ / ٢١١ وما بعدها وقد تزعم سيف بن ذي يزن الحميري طرد الاحباش عن وطنه.

(١١٤) باقر — ايران ص ١٤٦.

والحقيقة ان الساسانيين لم يزودوا سيف بن ذي يزن الا بعدد من الاسرى والمساجين وان عرب اليمن كانت لهم اليد الكبرى بطرد الاحباش وتجدد الصراع بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطة، وكان السبب في ذلك اضطرابات ارمينية التي كانت الدافع المباشر للحرب، فاجتيحت بلاد مابين النهرين من جديد. وقد هزم القائدة البيزنطي بعد انتصاره الباهر في وادي ملطية هزمه ملك ايران ولكن البيزنطينين قاموا مرة اخرى بغزوات واستولوا على سنجار، وحينذ بدأت مفاوضات الصلح، ولكن كسرى مات سنة ٥٧٩ م قبل ان يرى نتيجة الصلح (١١٥).

ويبدو انوشروان في الروايات الشرقية مثالاً للملك العادل فقد اطنبت المصادر الايرانية والعربية التي نقلت عنها بذكر القصص والروايات التي تؤكد حبه للنظام والعدل ورفع الحيف عن الضعفاء من جور الاقوياء. ولكننا نعرف من بين ثنايا هذه القصص عن النفوذ الكبير والثروات الهائلة التي تكدست في ايدي النبلاء ورجالات الدولة. فالملك ساند الارستقراطية الايرانية وعزز مكانتها ودعمها مادياً ومعنوياً الى ان بلغت على عهده اعلى المستويات، ولكنه في نفس الوقت رفض جشع بعضهم وغرورهم وحبهم للتسلط خوفاً من تفاقم نقمة الفقراء وحتى يتجنب نظام الملك هزات مثل ماحدث في ثورة الفقراء على عهد قباذ (١١٦).
وان كانت القوانين قد طبقت بدقة وعدالة بوجه عام، فان العقوبات قد خففت الى حد ما في ايام كسرى الاول وبخاصة في عقوبة الاعدام التي كانت تنزل بالخارجين عن الدين، فامر بسجنهم ومحاولة اعادتهم الى جادة الصواب، ولكنه لم يتورع لحظة في انزال اشد العقوبات الصارمة اذا وجد في ذلك ضرورة لحفظ نظام حكمه (١١٧).

ولا تكفي المصادر الشرقية بتصوير انوشروان ملكاً عادلاً بل انها تصوره بالملك الرحيم ايضاً. كما اشارت بعض كتب الاداب الاسلامية في باب ادب القصص الذي يبين سخاء أنو شروان وكرمه (١١٨).

---

(١١٥) كرستنسن — ايران ص ٣٠٨، باقر — ايران ص ١٤٦ — ١٤٧.

(١١٦) اقرأ الحكاية التي اوردها نظام الملك في سياست نامة ص ٢٩، ٣٦ والمسعودي — مروج الذهب ١ / ٢٣٣. وانظر: كرستنسن — ايران ص ٣٥٩ وما بعدها، باقر ايران ص ١٤٧.

(١١٧) كرستنسن — ايران ص ٣٦١ — ٣٦٢، باقر — ايران ص ١٤٧.

(١١٨) انظر على سبيل المثال: الثعالبي — تاريخ غرر ص ٦٠٨، سياست نامة — لنظام الملك ص ٣٦. البيهقي — التاريخ ص ٥٥٣.

اما الصورة التي تصورها المصادر الافرنجية فتختلف عما جاءت بها الكتب الشرقية. فتصوره تلك المصادر بانه كان رجلاً مفسداً طائشاً محباً للبدع يثير دائماً حوله الاضطرابات وانه كان شديد الحنق على عظماء دولته كذلك تصفه المصادر الافرنجية باشارات عديدة تؤكد فيه روح المراوغة والدهاء السياسي الكبير الذي تميز به كسرى الاول. كما انه لم يتورع من قصد كل السبل بما فيها الملتوية لتحقيق اهدافه (١١٩).

ولدينا دلائل تشير الى ان كسرى كان منفرداً في رأيه ميكافلي السياسية لايعير ادنى اهتمام لآراء رجال الدولة والعلماء المختصين الذين كانوا يحيطون به. ويروي الطبري قصة عنه تعكس تسلطه وظلمه (١٢٠).

ومن جانب آخر تبين بعض المصادر المتوفرة اهتمام كسرى بالعلم والفلسفة وتشجيع اهلها ورعايتهم حتى لو كانوا على غير ملته كما كان يحضر بعض المناقشات الفلسفية في اصل الكون والطبيعة كمسائل تناهي الدنيا وعللها (١٢١).

وكان بلاطه موئلاً للكثير من الفلاسفة السريان والرومان واليونان الذين اضطهدوا في بلدانهم بسبب موقفهم الفلسفي المعارض لآراء الحكام. كما ساعد كسرى على انتقال علوم الهند الى ايران وبخاصة في الرياضيات وكتب الحكمة وينسب ترجمة كتاب كليلة ودمنة الى الفارسية على عهد كسرى. ثم ترجم الى السريانية فالعربية من قبل ابن المقفع الذي ترجمة من الفارسية الى العربية (١٢٢).

وينسب الى كسرى انوشروان هذا بناء الأيوان الكبير في العاصمة المدائن والذي يعرف بايوان كسرى (*) في مدينة طيسفون التي سبق ان ذكرناها في تأسيسها كمعسكر للجند في العهد الفارسي الفرثي السابق، ولكن يحتمل أن يكون

---

(١١٩) كرستنسن ــ ايران ٣٦٣، باقر ــ ايران ص ١٤٧.

(١٢٠) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٩٦١.

(١٢١) باقر ــ ايران ص ١٤٨.

(١٢٢) باقر ــ ايران ص ١٤٨.

(*) لقد اريد به ان يكون رمز للساسانيين ولكن هذا الرمز الشعوبي قد حطمه العرب المحررين في معارك القادسية والمدائن وعبثاً حاول مرداويج الشعوبي احد الامراء الزيارين ان يعيد امجاد الفرس العنصرية باحياء المدائن وايوان كسرى ولكنه لم يتمكن من ذلك.

بناء الايوان من عهد كسرى انوشروان ، ويرجع ان يكون بناؤه على عهد شابور الاول ولكن بسبب اللقب الذي اطلقه العرب على الملوك الفرس وهو (لفظة كسرى) وجمعه اكاسرة كان سبب التسمية وبذلك يكون معنى ايوان كسرى ايوان الملك وقد بلغت المدائن عاصمة الدولة في عهد انوشروان اقصى اتساعها واوج عظمتها وازدهارها والمدائن بالمعنى الاخص مدينة رئيسية بين جملة مدن تسمى المدائن وكانت مكونة من خمس الى سبع مدن تقع على جانبي نهر دجلة لاتبتعد الواحدة عن الاخرى الا مسافة قليلة . وترجع بداية اتخاذها عاصمة للفرس الساسانيين الى عهد اردشير مؤسس الدولة ثم توالى بناء المدن المجاورة احداها بعد الاخرى على عهود الملوك الساسانيين اعقبوه كما نعرف ان كسرى انوشروان بنى مدينة في المنطقة ذاتها لاسرى انطاكية من الروم سميت بالرومية (رومكان) واقدم المدن في المدائن هي طيسفون التي تقع شرق دجلة وابرز آثارها القائمة الى يومنا هذا بقايا القصر الملكي المعروف بطاق كسرى (١٢٣).

وبقيت هذه المدينة ــ المدائن عاصمة لهم الى ان حررها العرب المسلمون حيث كانت على يدهم نهاية الدولة الساسانية سنة ٦٣٧ م / ١٤ هجرية وقد شهدت بلاد العرب حدثاً جليلاً في اواخر ايام كسرى انوشروان ذلك هو ميلاد الرسول الاعظم محمد (ص) في عام الفيل ويرجح ان يكون ذلك مابين سنة ٥٧٠ ــ ٥٧٣ م (١٢٤).

ان عهد كسرى الاول كان من ازهى العصور الساسانية . فقد بلغت ايران في ايامه مجداً فاق مابلغته ايام الملوك العظام . ولكن ماذا كان شأن الاحوال المادية والاجتماعية والاخلاقية للشعب الايراني في ذلك الوقت؟ يبدو ان مابلغته الدولة الساسانية من رقي وازدهار في عهد كسرى لم يكن في واقعه اكثر من صحوة موت . فان مظهر الاصلاح الاداري والعسكري والمالي لم يكن يقصد من ورائه سوى حماية

---

(١٢٣) انظر وصف الطبري للمدائن وطاق كسرى في تاريخ الرسل والملوك ١ / ١٠٦٢ وما بعدها كرستنسن ــ ايران ص ٣٦٩ وما بعدها باقر ــ ايران ص ١٤١ ــ ١٥٠ .

(١٢٤) سوف يأتي الحديث عن قريب عن ظهور رجل الامة العربية وقائدها وخاتم النبيين الرسول الاعظم محمد (ص) في فصول قادمة وكذلك الحديث عن سقوط المدائن وانهيار الدولة الساسانية .

العرش المتربع عليه اما الواقع الاقتصادي والاجتماعي للغالبية العظمى من الشعب الايراني فقد بقيت ترزخ تحت كابوس الظلم والفقر والتعاسة (١٢٥).

كان هرمزد الرابع الذي خلف كسرى انوشروان على العرش سنة ٥٧٩ م خير خلف له من بعض الوجوه، وقد كان في وسعه ان يدعى لنفسه لقب (العادل) ولعله كان اكثر استحقاقاً من كسرى انوشروان. وقد قال عنه البلعمي صراحة (ان عدالته فاقت عدالة انوشروان). كما اتفق جميع المؤرخين الذين على انه كثير العطف على الضعفاء والمظلومين شديداً على الاشراف والظالمين (١٢٦) وهكذا يصفه الطبري (ان هرمزدكان كثير الادب ذا نية في الاحسان الى الضعفاء والمساكين والحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه وكان في نفسه مقتل ذلك (١٢٧).

وفي الحقيقة يمكن القول ان عهد هرمزد الرابع في ايران كان يمثل اخر عهود المجد الايراني وبدايات الضعف الذي اخذ يطرأ على كيان الامبراطورية الساسانية.

والواقع ان هرمزد الرابع كان يتبع سياسة ابيه ولكن مع حيطة واعتدال اقل مما كان يفعل ابوه. وقد عرضه تسامحه في امور الدين لحقد رجال الدين الزرادشتي. ولكن لايظهر ان هؤلاء قد لعبوا دوراً ملحوظاً في الثورة التي انتهت بحرمانه من العرش ثم قتله (١٢٨).

ونستطيع ان نستشف من بعض الروايات الفارسية التي نقلها المؤرخون العرب التي تعبر عن وجهة نظر النبلاء والاشراف الذين كما يبدو قد تعرضت مصالحهم ومركزهم الى الخطر نتبين منها نفي صفة العدل عن هذا الملك بسلوكه المعادي لهم وحماية للفقراء والمعدومين، وهذا يؤكد ميل هذا الملك صوب التخفيف

---

(١٢٥) كرستنسن ــ ايران ص ٤٢٢ وما بعدها. باقر ــ ايران ص ١٤٨ وهذه الصورة قد دونها برزويه كبير اطباء الملك حيث اجاد في وصف تأملاته في بؤس الحياة الانسانية التي كانت عليها في ايام انوشروان.

(١٢٦) كرستنسن ــ ايران ص ٤٢٥.

(١٢٧) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٩٨٨، ٩٩٠ ــ ٩٩١. وقد اخذ روايته عن هشام بن محمد كرستنسن ــ ايران ص ٤٢٥، باقر ــ ايران ص ٢٥٣.

(١٢٨) كرستنسن ــ ايران ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧.